

**بريطانيا العظمى وولاية طرابلس الغرب
مزيج من العداة والتعاون (1795-1580)**

الكلمات المفتاحية: بريطانيا – طرابلس الغرب – العداة – التعاون

أ.م.د. شاكز ضيدان جابر
جامعة ذي قار/ كلية الآداب

أ.م.د. اياد تركان ابراهيم
جامعة ديالى/ كلية التربية الأساسية
Ayadtarkan@gmail.com

**Great Britain and the Western State of Tripoli: A Combination
of Hostility and Cooperation (1580-1795)**

Key words: Britain – Tripoli – West – hostility – cooperation

Asst. Prof. Dr. Ayad Tarkan Ibrahim

University of Diyala
Faculty of Basic Education
Ayadtarkan@gmail.com

Asst. Prof. Dr. Shaker Dhidan Jaber

University of Dhi Qar\ Faculty of Arts

المخلص

تناول البحث ما يقرب من قرنين من السياسة البريطانية تجاه ولاية طرابلس الغرب وذلك في إطار التوجهات البريطانية لفرض نفوذها على تجارة البحر المتوسط، وكانت العلاقة بين تلك الولاية وبريطانيا متأرجحة بين السلم والحرب، وغالباً ما تشب المراك البحرية بين الطرفين على سواحل الولاية بسبب تعرض السفن التجارية البريطانية للقرصنة، وبالرغم من ان طرابلس الغرب كانت تابعة للدولة العثمانية، إلا أنها لم تلتزم بكل التوجيهات الصادرة من هناك، كما لم يلتزم رياس البحر الطرابلسيين أحياناً باتفاقيات السلام والتجارة التي يبرمها ولاية طرابلس الغرب مع بريطانيا، ولذلك إستمرت العلاقة بينهما بالتأرجح ولم تستمر على وتيرة واحدة بسبب عدم الاستقرار السياسي داخل الولاية.

Abstract

The study dealt with nearly two centuries of British policy towards the state of Tripoli the West in the context of the British tendency to impose its influence on the Mediterranean trade and the relationship between this state and Britain swing between peace and war and the naval battles between the parties often burst out on the coast of the state because the British merchant ships were exposed to pirates. Although Tripoli was part of the Ottoman Empire, it did not follow all the directives issued there. The Captain of the Sea did not follow the peace and trade agreements concluded between Tripoli the West and with Britain. That is why the relationship between them continued to fluctuate because of political instability within the state.

بريطانيا العظمى وولاية طرابلس الغرب مزيج من العداوة والتعاون (1795-1580)

أ.م.د. شاكراً ضيدان جابر
جامعة ذي قار/ كلية الآداب

أ.م.د. اياد تركان ابراهيم
جامعة ديالى/ كلية التربية الأساسية
Ayadtarkan@gmail.com

المقدمة

ظهر تنافس إستعماري شديد بين القوى الأوروبية البحرية منذ مطلع القرن السادس عشر للسيطرة على طرق التجارة مع الشرق، وبعد أن إستقر في بريطانيا النظام السياسي وتخلصت من مشاكلها الداخلية في عهد الملكة اليزابيث الأولى، دخلت في هذا السباق للسيطرة على الطرق التجارية واكتشاف المستعمرات، ثم بدأت اتصالاتها مع الدولة العثمانية لإبرام إتفاقيات تجارية بينهما في أواخر القرن السادس عشر، كما شملت النشاطات البريطانية منطقة شمال أفريقيا وولاياتها التابعة للدولة العثمانية، ومنها ولاية طرابلس الغرب. جاء إختيار العام 1580، بداية لموضوع البحث بوصفه تاريخ بدء الاتصالات الرسمية بين بريطانيا والدولة العثمانية وينتهي في العام 1795 وهو العام الذي تولى فيه يوسف باشا القرماني الحكم في ولاية طرابلس، والذي عدّ عهده بداية مرحلة جديدة من تاريخ ولاية طرابلس الغرب الحديث.

تضمن البحث محورين رئيسيين، بين المحور الاول ولاية طرابلس الغرب والعلاقات مع انجلترا (1580-1711)، والتي حكم طرابلس الغرب فيها عدد من الدايات والباشوات، وتميزت بكثرة الصراعات الداخلية بين فرقة الانكشارية ورياس البحر من جهة وبين حكام الولاية من جهة أخرى كما تميزت بتوتر العلاقات مع بريطانيا بسبب التعرض لسفنها التجارية بإستمرار، أما المحور الثاني فركّز على التوجهات البريطانية تجاه ولاية طرابلس الغرب في المدة (1711-1795) والتي تبدأ بتولي القرمانيين حكم طرابلس الغرب وحتى عهد يوسف باشا، إعتد البحث على مجموعة من المصادر المهمة أبرزها كتاب جان كلود زليتنر، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط أفريقيا (1500-1795)، وكتاب ن.أ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، فضلاً عن الكتب باللغة الانكليزية ومصادر مهمة أخرى موجودة في نهاية البحث.

أولاً: ولاية طرابلس الغرب والعلاقات مع إنجلترا (1580-1711)

استولى الاسبان على طرابلس الغرب عام 1510، وذلك في إطار الحروب التي شنتها اسبانيا ضد العرب المسلمين في شمال أفريقيا بعد إخراجهم من الاندلس (Amy Mckenna, 2010, p.54)، وإستمر الوجود الاسباني هناك حتى عام 1530، إذ تنازلت عنها اسبانيا لفرسان مالطا⁽¹⁾، بعد أن طردهم العثمانيون من جزيرة رودس عام 1523، وقد إستقر فرسان مالطا في طرابلس الغرب حتى عام 1551، حيث استتجد أهلها بالعثمانيين (جميل بيضون وآخرون، 1991، ص50؛ Ali Abdullatif Ahmida, 2005, p.11). وأرسل السلطان سليمان القانوني⁽²⁾ (1520-1566) اسطول كبير بقيادة سنان باشا ونجح في احتلال المدينة، وبذلك ألحقت طرابلس رسمياً بالسيادة العثمانية (اسماعيل احمد ياغي، 1997، ص143).

تأخر دخول إنجلترا الى البحر المتوسط بعد الكشوفات الجغرافية، لكونها ليست من دول هذا البحر اولاً، ولإشغالها بمشاكلها الداخلية ثانياً والتي نتجت عن حرب الوردتين في القرن الخامس عشر بين اسرتين اقطاعيتين حول العرش الانجليزي، ثم الصراع الكاثوليكي- البروتستانتي بين الانجليز أنفسهم في القرن السادس عشر، فضلاً عن مشاكل خارجية كالتنافس مع اسبانيا وفرنسا، كل تلك المشاكل عرقلت قيام إنجلترا بنشاطات بحرية مهمة، وبالرغم من أن الانجليز تواجدوا في البحر المتوسط منذ القرن الخامس عشر عندما كانوا يأتون الى الأرخبيل اليوناني بحثاً عن الزبيب وعن الخمر، لكن ذلك لم يشكل حضوراً مهماً على المستوى الدولي، ولذلك لم يتكثف النشاط الانجليزي في البحر المتوسط حتى اواخر القرن السادس عشر، إذ أن عصر الملكة اليزابيث الأولى⁽³⁾ Elizabeth I (1558-1603) يعد بداية النشاط التجاري والبحري الانجليزي الكبير على مستوى العالم (محمد خير فارس، 1969، ص141).

بدأت العلاقات الدبلوماسية فعلياً بين إنجلترا والدولة العثمانية عام 1578 (اسماعيل احمد ياغي، 1997، ص181)، إذ أرسلت الملكة اليزابيث الاولى أحد التجار الانجليز وهو وليام هيربون William Hareborne كمبعوث دبلوماسي الى السلطان العثماني مراد الثالث⁽⁴⁾ (1574-1595)، للحصول على إذن يسمح للتجار الانجليز بالدخول الى اراضي الدولة العثمانية وولاياتها وممارسة التجارة فيها (Christine Woodhead, 2009, p. 5). وافق السلطان على طلب هيربون، وأرسل رسالة الى الملكة اليزابيث بتاريخ 20 آذار 1579، وتضمنت أولى الامتيازات الانجليزية في الأراضي العثمانية، حيث سمح بموجبها

للتجار الانجليز بالمتاجرة مع الموانئ التابعة للدولة العثمانية بشرط عدم الإخلال بالنظام، وردت الملكة اليزابيث برسالة مماثلة بتاريخ 25 تشرين الاول 1579 شكرته فيها على موقفه من التجار الانجليز، وطلبت منه أن يتدخل لتحرير الأسرى الانجليز الذين أُجبروا على العمل كمجذفين على السفن العثمانية، والذين وقعوا في أسر رياس البحر في شمال أفريقيا خلال تلك الحقبة (جان كلود زليتنر، 2001، ص224).

ساهمت تلك المراسلات في توثيق العلاقات بين الطرفين ووقع هيربون، الذي أصبح سفيراً لانجلترا في بلاط السلطان، عام 1580 معاهدة تجارية سمحت للتجار الانجليز بحرية المتاجرة مع جميع الموانئ التابعة للدولة العثمانية، الأمر الذي أدى الى تأسيس شركة المشرق التي أسستها الملكة اليزابيث عام 1581 وإستمرت حتى عام 1825، وسيطرت على التجارة بين العالم الاسلامي وانجلترا، وتأسست عام 1585 شركة الساحل البربري كشركة مستقلة تشرف على التجارة مع المناطق الواقعة على ساحل شمال أفريقيا، ثم تبعها شركات أخرى مثل شركة فرجينيا وشركة الهند الشرقية (قرباش بلقاسم، 2015، ص34).

حاول التجار الانجليز الإستفادة من صداقة حكومتهم مع الدولة العثمانية، وإعتقدوا أن كل الأراضي العثمانية بما فيها ولايات شمال أفريقيا مفتوحة أمام مشاريعهم التجارية، وكانوا يجهلون أن سلطة السلطان أحياناً تكون محدودة في تلك المناطق (جان كلود زليتنر، 2001، ص224)، وإن حكام شمال أفريقيا كانوا في الواقع حكاماً شبه مستقلين، كما وقع حكام هذه الولايات البعيدة تحت تأثير جنود فرقة الانكشارية (الأوجاق) المقيمين في الولاية (شوقي عطا الله الجمل، 1977، ص131)، وفرض هؤلاء الجنود نفوذهم على الولاة في شمال أفريقيا، الأمر الذي إنعكس على نشاط التجار الانجليز هناك، كما ظهرت بمرور الزمن فئة القولوغلوية من أبناء الجنود الأتراك الذين تزوجوا نساء عربيات، وشكلوا فئة مهمة ضمن الجيش العثماني المقيم في ولايات شمال أفريقيا (فرانشكو كورو، 1971، ص133).

وفي عام 1583 بعث التاجرين الانجليزيين السير ادوارد اسبورن SirEdward Osborne وريتشارد ستابر Richard Staper سفينة الى طرابلس مطمئنين الى الاتفاقيات التي وقعها هيربون مع السلطان (أحميده سالم حماد، 2016، ص4)، وكانت السفينة تحمل اسم جيسوس Jesus وطاقمها مكون من 26 رجلاً، أبحرت السفينة الانجليزية من ميناء بورتسموث Portsmouth الانجليزي في 16 تشرين الأول 1583 وكانت مهمتها هي إحضار زيت الزيتون وبضائع أخرى من طرابلس، وكان على ظهر السفينة اثنان من الشركاء هما

الفرنسي رومان سوننغ Romain Soning والانجليزي ريتشارد سكيج Richard Skeg، وفي 18 آذار 1584 وصلت السفينة الى طرابلس (جان كلود زليتنر، 2001، ص225). أجرى الوكلاء الانجليز بعد وصولهم الى طرابلس الغرب اتصالات مع رمضان باشا حاكم الولاية، وبعد مفاوضات بين الطرفين أبرمت صفقة لشراء الزيت، وغادرت السفينة يوم 15 أيار 1584 ونصحهم الباشا بالإبحار بسرعة من ميناء طرابلس لأن رياس البحر ربما يعترضون طريق السفينة، وفعلاً بينما كانت السفينة الانجليزية جيسوس تحاول جاهدة الإبحار إقترب منها قارب على متنه بعض رجال الباشا، وطلبوا من سوننغ النزول فإمتثل لأمرهم، وطلبوا منه أن يدفع رسوم الجمارك، غضب سوننغ لهذه المعاملة من قبل رجال الباشا ولكنه اضطر للدفع، وكادت الأمور تسير على مايرام لولا قيام سوننغ بمغامرة وخيمة العواقب. إذ كان أحد مواطنيه من التجار الفرنسيين المدعو باترون نوفارو patrone Novaro يواجه وضعاً صعباً، فقد إقترض في السنة السابقة من أحد الأتراك بضائع وكلف شقيقه بالذهاب الى أوربا بالحمولة وبيعها وإحضار مبالغ البيع، ولسوء الحظ كان هذا الأخير مقامراً، وعند وصوله الى الميناء المقصود قامر وخسر البضاعة والسفينة، وهكذا بقي نوفارو رهينة في طرابلس، وكان الحل الوحيد أمامه هو الهرب، ولهذا طلب من سوننغ أن يأخذه خلسة على السفينة الى طولون (جان كلود زليتنر، 2001، ص227).

وصل سوننغ الى السفينة جيسوس مصحوباً بهذا الشخص المشبوه، وبالرغم من إعتراض الربان والطاقم إلا أن سوننغ أصر وتعهد بتحمل المسؤولية وحده، في تلك الأثناء إشتبه المقرض فيما كان يجري وتقدم بشكوى الى الباشا، والذي بعث من جديد بقارب لإعتراض السفينة الانجليزية وجرها الى الرصيف، وكان الانصياع يحمل مخاطرة كبيرة هذه المرة لذلك حرض سوننغ قائد السفينة على الإبتعاد بالسرعة الممكنة وهو ما كان متعذراً بسبب خمود الرياح، وأطلقت المدفعية الطرابلسية من جانبها ثلاث قذائف تحذيرية، ولكن السفينة جيسوس واصلت طريقها، فأمر المدفعيون الأتراك بإطلاق قذائف حقيقية، ولما كانوا غير مدربين جيداً فقد أخطأت هذه القذائف هدفها، عندها أرسل الباشا أحد الضباط الى سجن طرابلس ليقترح على الأسرى الاجانب إيقاف السفينة مقابل مكافئة مالية وإطلاق سراحهم، وتقدم اسباني يدعى سيباستيان للقيام بالمهمة وأسرع الى المدافع، وإستطاعت قذيفته الاولى أن تحطم دفة السفينة، وأحدثت قذيفته الثانية ثغرة في جسم السفينة تحت خط الغطس، وضربت الثالثة السارية، ولم يبقى أمام الربان خيار إلا التوجه الى الشاطئ، وبعد رسو السفينة قيّد كل طاقمها في السلاسل (جان كلود زليتنر، 2001، ص228).

عقد الباشا مجلس محاكمتهم في طرابلس، ومثل امامه الوكيلان وربان السفينة ومساعدته، وبعد إقرار سوننغ بذنبه حكمت عليه المحكمة بالإعدام شنقاً، كما حكمت على ربان السفينة ومساعدته بالإعدام أيضاً، كما حُكم على أعضاء الطاقم الآخرين وعددهم ثلاثة وعشرين بالرق الدائم وقضى المحكومون حوالي سنة في السجن (www.hukam.net)، أثارت قضية السفينة جيسوس إنفعالاً كبيراً في إنجلترا، ولذلك أرسلت الملكة إليزابيث رسالة الى السلطان في 5 أيلول 1584 طلبت فيها إعادة السفينة جيسوس والأسرى الانجليز المسجونين في طرابلس، وإهتم مراد الثالث بالأمر (جان كلود زليتنر، 2001، ص231)، وأرسل الى طرابلس ضابط عدالة عثماني بصفة مبعوث من السلطان يرافقه إدوارد بارتون Edward Barton السفير الانجليزي في اسطنبول (محمد خير فارس، 1969، ص141).

كان الضابط العثماني يحمل رسالة من سيده السلطان الى رمضان باشا مؤرخة في 15 كانون الثاني 1585، جاء فيها: "المحترم النبيل الباشا رمضان، باي بايات، القاضي الحصيف وحكيم طرابلس الغرب، إن فرنسياً مساعد تاجر غير معروف من قبل الانجليز أخذ معه فرنسياً آخر مدين لمغربي، وأجبر الانجليز الذين فوق السفينة على الرحيل بالقوة، لم يكن هؤلاء يشكون في وجود تهريب أو غش، ومن ثم بدأوا بالإبحار..." (محمد خير فارس، 1969، ص233). رضخ الباشا لأوامر السلطان وفك قيود الأسرى وسلمهم لبارتون، وقد عرف رمضان باشا كيف يتصرف دون أن يفقد الاعتبار، فقد خاطب الأسرى قائلاً: "لقد خالفتم قوانين هذا المكان، بموجب هذه القوانين حكم على بعض منكم بالإعدام وحكم عليكم أنتم بأن تكونوا عبيداً حتى نهاية حياتكم، على الرغم من كل ذلك فقد راق لسيدي السلطان التركي العظيم أن يعفوا عن مخالفتكم، وأن يعطيكم حريتكم، وعليه سأسلمكم لهذا السيد الانجليزي" (محمد خير فارس، 1969، ص233). ولم يكن عدد الأسرى الذين أطلق سراحهم إلا ثلاثة عشر، فقد أعدم الباشا إثنان وأجبر إثنان على إعتناق الإسلام، ومات تسعة بسبب الطاعون، وبعد حوالي ثمانية أشهر وصل الأسرى الى إنجلترا، وإستطاع الذين اعتنقا الاسلام الهروب الى بلادهم ووصلوا بعد شهرين من وصول زملائهم (Gerald M. MacLean, 2004, p.9).

إستمر رياس البحر الطرابلسيين في عملهم بالتعرض للسفن الأوربية خلال تلك المرحلة، ففي عهد عثمان باشا (1649-1672) تم أسر ستة آلاف مسيحي في سجون طرابلس، ولذلك قررت إنجلترا استخدام القوة لإيقاف الجهاد البحري وتحرير الأسرى الذين بحوزتهم (جان كلود زليتنر، 2001، ص254)، وكان أوليفر كرومويل Oliver Cromwell

الذي أصبح رئيس الجمهورية الانجليزية عام 1653 هو من وضع السياسة الجديدة تجاه القرصنة (اياد ترکان ابراهيم الدليمي، 2016، ص98)، فبعد أن جدد التحالف مع الدولة العثمانية ووقع اتفاقيات سلام مع ولاية الجزائر وتونس، أرسل اسطوله الى طرابلس بقيادة الاميرال جون ستوكس John Stoakes، ووصل الاميرال الى طرابلس يوم 2 آب 1658، وكانت مهمته تحرير العبيد الانجليز وفرض معاهدة (Daniel Panzac, 2005, p.31).

بعث الأميرال جون ستوكس بعد وصوله الى المرسى رسالة الى الباشا، ووضعه امام خيارين الحرب أو السلام، تردد عثمان باشا في قبول أو رفض السلام، فقد أخذ في حساباته الغنائم التي استولى عليها من الانجليز، والتي سيستولي عليها في المستقبل، وكان يخشى في الوقت نفسه على سفنه في البحر، وحتى الثالث من آب لم يكن الباشا قد إتخذ قراراً بعد، ثم وصلته أخبار تفيد أن إسطول طرابلس والذي لم يكن يعلم بوجود الاسطول الانجليزي ظهر قبالة مصراته، وهذا يعني أن القرصنة أصبحت تحت رحمة الأميرال الانجليزي، ولم يعد هناك مجال للتردد ولا بد من الخضوع لإرادة ستوكس، وفي 4 آب 1658 تم توقيع السلام، وتم تحرير كل العبيد الانجليز، وبعد أن أدى ستوكس واجبه غادر طرابلس ليحل محله القنصل صامويل توكر Samuel Tooker للدفاع عن المصالح الانجليزية والتأكد من تنفيذ أحكام الاتفاقية (جان كلود زليتنر، 2001، ص254).

كانت مهمة القنصل الجديد صعبة، إن لم تكن مستحيلة، فعندما إختفى الخطر ندم عثمان على الوعود التي أعطاها، وعدّ نفسه مكرهاً على توقيع تلك الاتفاقية وبالتالي فهي باطلة، ومنذ عام 1661 أرسل سفنه لإعتراض السفن الانجليزية، وكان القنصل الانجليزي في طرابلس توكر عاجزاً عن فعل شيء، وفي 22 آب أرسل برقية الى لندن قال فيها: "لقد أعطوا الأوامر بالبده في رحلتين بحريتين لإعتراض وإحضار السفن الانجليزية التي يقابلونها في البحر، بالرغم من أنني بذلت كل جهد من أجل إقناع الباشا بالعدول" (جان كلود زليتنر، 2001، ص255).

كان القنصل الانجليزي في وضع لا يمكن الاستمرار فيه، فبالإضافة الى الفشل الدبلوماسي فقد كان يواجه مشاكل مالية، ولم يكن ملك انجلترا يدفع له أي أجر، وكان مضطراً بحكم وظيفته لمصاريف مرتفعة، فوصل الى حالة إفلاس، وفي عام 1667 وبدون إذن الملك ترك وظيفته وغادر طرابلس، أما عثمان باشا فندم لمغادرة القنصل الانجليزي، وخشي من عودة القنصل بصحبة الاسطول الانجليزي لقصف مدينة طرابلس الغرب، فأرسل الى لندن يطلب إعادة القنصل الى عمله، وإستجاب الانجليز بسرعة وبعثوا عام 1671 الى

طرابلس ناتليان برادلي Nathalien Bradley كقنصل وبمرتب سنوي قدره الف ايكوس، كان اختيار برادلي إختياراً موقفاً، فقد مارس هذا النبيل اللندني واجبه بتفانٍ لا حدود له، وأصبح حامياً ليس فقط للانجليز وإنما لكل رعايا الدول الأوروبية الأخرى المتحالفة معهم (C.R. Pennell, 1989,p.17).

ويبدو أن القنصل توكر أما أنه كان من أصحاب الشركات التجارية الانجليزية، أو أرسلته إحدى الشركات ليمثل مصالحها، ولذلك حصل هذا الأرباك في منحه مستحقته المالية بإعتباره يمثل مصالح تلك الشركات. أما أسباب عودة العلاقات الانجليزية-الطرابلسية فبال تأكيد تعود الى خشية الانجليز من استغلال فرنسا للموقف والتقرب من باشا طرابلس وتحريضه على ممارسة الاعمال العدائية ضدهم.

إندلعت ثورة في طرابلس قادها رياس البحر ضد عثمان باشا عام 1672 بسبب تعسف الباشا وعدم منحهم حصصهم من الغنائم، ونصب الثوار بالي شاويش وأعلنوه داياً وليس باشا، وكانوا يقصدون بهذا أن يكون على رأس حكم الولاية أحد رجالهم، وليس من الفرقة الانكشارية، ولم تمنع تلك الأحداث الداى في 21 كانون الأول من المصادقة على كل بنود السلام التي وقعها عثمان باشا مع انجلترا، كما أعيدت حرية البيع والشراء للجميع، وفتح الداى الجديد ميناء طرابلس للتجارة مع الأوروبيين (جان كلود زليتنر، 2001، ص264).

أرسل بالي شاويش في 31 كانون الاول الى اسطنبول سفينة محملة بالهدايا الثمينة قدرت قيمتها بـ بمائة ألف جنيه، وكان الهدف إحاطة السلطان بما جرى، ووصف برادلي ما حدث قائلاً: "أسرع الحكام الجدد بإرسال مفوضين الى السيد الأعظم [السلطان] لإحاطته بالتغيير الذي وقع"، لكن السلطان لم يعترف بما حدث، وأرسل باشا جديد وأسمه علي لخلافة عثمان باشا، لكن هذا الباشا في الواقع لم يكن يتمتع بأي صلاحيات حقيقية باستثناء التوقيع على المعاملات الرسمية والاتفاقيات مع الدول الأجنبية التي يبرمها الداى، وبقي كواجهة للحكم العثماني، كما ان وجوده لم يكن يقلق أحداً (محمود ناجي، 1970، ص156).

بالرغم من اتفاقية السلام بين طرابلس الغرب وانجلترا، إلا أن العمليات البحرية إستمرت دون توقف، وبعد أقل من سنتين من تجديد الاتفاقيات كان التعرض للسفن الأوروبية قد بلغ مستوى عالٍ جداً، وجهز بالي شاويش خمس سفن حربية عين لقيادتها أشهر أمراء البحرية الطرابلسية وهم خوجه مصطفى الاستانكولي وابراهيم بن المصري وعمر الكاراداغلي وأحمد الدورغوتلي، فصالوا في أطراف البحار صولات مرعبة (جان كلود زليتنر، 2001، ص 266)، ومن بين الغنائم التي جلبوها سفينتان انجليزيتان، مارلين

Marilyn وربانها روجر مارتين Roger Martin مؤجرة من البندقية وذاهبة الى أليكانتي Alicante، والأخرى ألهنتر Alhanter وهي بقيادة الريان توماس باركر Thomas Parker، ومحملة بالقماش والقصدير والرصاص والحديد، وقد جلبت ذاهبة الى ليفورنو Livorno، ومحملة بالقماش والقصدير والرصاص والحديد، وقد جلبت الأولى الى ميناء طرابلس في 12 أيلول والثانية 11 تشرين الأول 1674، وبناءً على احتجاج القنصل الانجليزي أطلق سراح قباطنة السفينتين، ولكن السفن وشحناتها لم ترجع، وهكذا تم نقض السلام من قبل الداى (محمود ناجي، 1970، ص156).

ومن الواضح أن حكام طرابلس الغرب لم يلتزموا بالاتفاقيات مع انجلترا، وباعتقادنا أن السبب الرئيسي في ذلك هو المصاعب المالية التي واجهتهم في الوقت الذي كانوا فيه ملزمين بتوفير رواتب جنود الانكشارية ومصاريف ديوان الداى، ولذلك وجدوا أنفسهم مضطرين للسماح لرياس البحر ليهاجموا السفن الأوربية ومصادرة بضائعها.

أرسلت انجلترا اسطولها الى طرابلس الغرب بقيادة الأميرال جون ناربرو John Narbrough عام 1675، وغادر هذا الأخير ليفورنو في أيار 1675 ووصل الى مالطا يوم 7 حزيران، وكان في 12 حزيران أمام طرابلس ومهدداً سواحلها (هنري أنيس ميخائيل، 1970، ص11؛ جان كلود زليتنر، 2001، ص267)، ولاحظ ناربرو في البحر اربع من أروع السفن الطرابلسية، فطاردها وإضطرها للدخول الى الميناء، ثم توقف في عرض بحر المدينة، وفي تلك الأثناء توفي الداى وأنتخب مساعده مصطفى البهلوان، وخلال بدء المفاوضات أظهر الداى الجديد تفهماً أكبر، فقد كتب الى برادلي معبراً عن رغبته في توقيع إتفاقية سلام جديدة، وفي نفس الوقت أرسل ثلاث رسائل، إحداهما لتجار مرسيلىا، والأخرى الى ليفورنو والبندقية، أكد فيهما أن بإمكان التجار من كل الدول العيش بحرية في طرابلس (ابن غلبون، 1930، ص130).

إنقلب جنود الانكشارية ورياس البحر في طرابلس على الداى مصطفى البهلوان بحجة أنه لم يمنحهم مستحقاتهم المالية، وتم عزله وتعيين ميسير أوغلي محله (جان كلود زليتنر، 2001، ص269)، واستمرت المفاوضات مع الانجليز منذ حزيران 1675، وفي 22 منه وجه ناربرو رسالة الى الداى حملها برادلي، وإكتفى الأميرال بالمطالبة بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بالانجليز، ولكن الداى لم يستجب لهذا الطلب، وفي تلك الأثناء وصل المدد الذي كان ينتظره ناربرو، وفي 21 تموز 1675 وصلت السفينتان الحربيتان السوالو Swallow والدارموث Darmouth، وأصبح الأميرال قادراً على قفل الميناء، وبدأت قوارب

السفن الحربية بعمل دوريات ليلاً ونهاراً أمام الميناء لإبلاغ الأدميرال عن أي محاولة للخروج من الميناء (جان كلود زليتنر، 2001، ص270).

أظهرت الإجراءات المتخذة من قبل الأدميرال فاعليتها، ففي 22 تموز خرجت ثلاث قوادس من ميناء طرابلس لمرافقة وتوصيل مركب حمل بخشب البناء، وعند الصباح وجد الطرابلسيون أنفسهم محاطون بثلاث سفن انجليزية، وعندها قاموا بإشعال النار في المركب وأحد القوادس وإرتموا في الماء ووصلوا بصعوبة الى الشاطئ بسبب القصف الانجليزي، وتمكن الانجليز من تحطيم السفن الطرابلسية بسهولة، إلا أن الاسطول الانجليزي كان يواجه مشكلتين الاولى نقص التموين، والثانية سوء الأحوال الجوية، لذلك حاول الداى كسب الوقت لإطالة أمد المفاوضات، وفي يوم 31 تموز وجه الداى رسالة الى الاميرال طالب فيها أن يبعث له القنصل برادلي من أجل الإتفاق على شروط السلام، وأصر ناربرو على دفع الخسائر التي لحقت بالانجليز، وطلب كذلك رؤوس المسؤولين عن نقض اتفاقية السلام، وأجاب الداى ميسير أوغلي بأن لا أموال لديه أما بخصوص المسؤولين عن نقض الصلح فهم الداى السابق بالي وكان قد توفي والداى الذي تلاه هو مصطفى البهلوان وقد نفى خارج الولاية (جان كلود زليتنر، 2001، ص271).

حرص الداى من ناحية أخرى على عدم قطع المفاوضات، لهذا وجه رسالة الى الاميرال بعد ظهر اليوم نفسه، يرجوه فيها أن يبعث رسالة يوضح فيها المبالغ التي يطلبها للتعويض، ورد ناربرو أنه يطالب بدفع ثمانية آلاف دولار يدفع نصفها مباشرة عند الإتفاق على السلام، ويدفع النصف الآخر في السنة اللاحقة، وطالب الاميرال بإطلاق سراح كل الأشخاص الذين أخذوا من السفينة الانجليزية أو السفن التي تحمل العلم الانجليزي، وإلا فإنه سيطلب برؤوس المسؤولين عن خرق بنود السلام، وأجاب الداى كما في السابق بأنهم مفلسون، وأن المسؤولين عن الحرب لم يعودوا موجودين ليُسائلوا، وطلب الداى في 7 آب من القنصل الانجليزي الموافقة على دفع كميات من الملح كتعويض بدلاً من الذهب الذي يفنقر إليه (هنري أنيس ميخائيل، 1970، ص12).

وفي تلك الأثناء توقفت المحادثات بسبب هبوب الرياح وأصبح من الصعب البقاء في المرسى، وفكر ناربرو في عرض داى طرابلس ملياً، وإتضح له أن الطرابلسيين يقولون الحقيقة عندما قالوا بإفلاسهم، وخطر له حل آخر هو أن يكتفي بإطلاق سراح كل الأسرى المسيحيين في طرابلس، وكتب الى لندن قائلاً: "أظن أن لدى السداى الفين من الرقيق المسيحيين من عدة دول ولكن عدد الانجليز لا يتجاوز ثلاثة... أعتقد أنني إذا ما طلبت الى

الداي إطلاق بعض الرقيق المسيحيين محل التعويض فإنهم سيقبلون، وإن هذا ببساطة يشرف صاحب الجلالة... وسيعرف به العالم كله، وهكذا سينال الكثير من الشرف عوضاً عن الربح... (مقتبس من: هنري أنيس ميخائيل، 1970، ص12؛ جان كلود زليتنر، 2001، ص271).

قبل إقترح نابرو في لندن، فأرسل في 23 أيلول 1675 برادلي ليقدم الإقترح الى الداي، إلا أن الإقترح جاء متأخراً جداً، فقد إقترت الشتاء وإضطرت بعض السفن لمغادرة المرسى، وعن قريب سيضطر كل الاسطول للمغادرة، وبهذا إستطاع الداي إطالة أمد المحادثات وكسب الوقت، ومن ثم رفض الإقترح. فكّر نابرو بتوجيه ضربة قاصمة للداي، وفكر في الاقتراب من ميناء طرابلس وحرق كل السفن الموجودة فيه، لكن فصل الشتاء تقدم ويجب تأجيل هذا الأمر الى وقت لاحق، وفي 2 تشرين الأول أعطى الأمر للإبحار والمغادرة، وبعد ثمانية أيام وصل الى مالطة، وهناك أيضاً وجد نقصاً في المؤن، وإضطر الى إرسال سفينتين الى انجلترا واثنين الى ليفورن وغادر بقية الاسطول الى كورون ومودون جنوبي ايطاليا (جان كلود زليتنر، 2001، ص272).

وفي بداية كانون الثاني 1676 أطلقت الحملة الانجليزية بقيادة نابرو من جديد على طرابلس، وبدأ في 14 في تنفيذ مشروعه، وكان اسطوله مكون من اربع سفن حربية وسفينتين حارقتين وسفينتين تجاريتين، وكانت بالميناء أربع سفن حربية طرابلسية مربوطة الى أسوار القلعة، لم يكن من المتصور بكل وضوح دخول السفن الحربية الى المرفأ، لذلك أرسل نابرو اثنا عشر قارباً مجهزاً بمعدات حرق تحت أمره مساعده كلودسلي Cloudesly الى ميناء طرابلس، ودخلت القوارب منتصف الليل واستولت على قوارب الحراسة واقتربت من السفن وأشعلت فيها النيران وحطمتها كلها، وقد قتل بعض البحارة الطرابلسيين ولأذ آخرون بالفرار، وكانت السفن المحطمة هي كل ما موجود لدى الداي في الميناء، وتم إنجاز تلك المهمة في أقل من ساعة، ولم يكتفِ الانجليز بذلك فقاموا بقصف المدينة والميناء في 26 كانون الثاني من العام نفسه بحوالي مائة قذيفة أطلقت على الأحياء السكنية (ن.أ.بروشين، 2001، ص95).

كانت الضربة التي وجهت الى بحرية طرابلس قاسية جداً، وفي 3 شباط 1676 حطم نابرو خمس سفن أخرى على الساحل الشرقي مشحونه بالحبوب وكمية من أخشاب بناء السفن، وفي 10 شباط إستولى في عرض البحر على سفينة طرابلسية، وتوجه على أنثر ذلك الى مالطا، وفي آيار عاد من جديد الى طرابلس، وأجبر الداي على توقيع اتفاقية سلام

في 5 آذار وقعها معه الداى الجديد مصطفى والتي لم تنص على إعادة السفينتين، وعندما غادر الاميرال أخذ معه عدد من الأسرى المسيحيين الذين تم تحريرهم، وترك ناربرو في طرابلس هنري كابل Henry Caple كقنصل معين من طرفه بشكل مؤقت (جان كلود زليتنر، 2001، ص273). أدت حملة ناربرو والمعاهدة مع داى طرابلس الغرب دوراً مهماً في تأمين سلامة السفن الانجليزية من اعتداءات البحارة الطرابلسيين، ففي الوقت الذي نجد فيه أن حوالي 75 سفينة اوربية تم أسرها خلال المدة (1679-1685) حسب إحصائية قام بها توماس بيكر، لم تكن من بينها أي سفينة انجليزية (C.R. Pennell, 1989,p.47).

كانت الاتفاقيات الموقعة مع حكام طرابلس تعطي للبحرية الانجليزية أفضلية على كل الدول الأخرى، وكان ناربرو يتابع احترامها من خلال القيام بدوريات بحرية أمام طرابلس بين الحين والآخر. كان السلام الذي تم التوصل إليه بين انجلترا وطرابلس سلاماً هشاً، وذلك لسببين أولهما عدم استقرار النظام السياسي في طرابلس الذي كان تحت رحمة مزاج جنود الانكشارية المتقلب، فقد عزل جنود الانكشارية خلال عشر سنوات أربعة من الدايات وهم ميسير أوغلي وخلفه ابراهيم شلابي الذي لم يحكم إلا خمسة أيام، وآق محمد الذي قتله الجنود عام 1679، وأخيراً حسن عبازة الذي تم نفيه عام 1683، وكان ظهور فرنسا كمنافس لانجلترا سبباً آخر لعدم إستقرار السلام بين الطرفين (ابن غلبون، 1930، ص135).

تزايد الصراع بين انجلترا وفرنسا على مناطق النفوذ في البحر المتوسط من خلال المنافسة الدائمة بين قنصلي الدولتين على التأثير على الدايات في ولاية طرابلس الغرب، وكان الدايات بدورهم يستغلون الصراع بين الدولتين لإضعاف نفوذهما في ولايتهم، فبينما كانت فرنسا تتوسل لتصديق معاهداتها مع طرابلس وتلوح بإستخدام القوة، قام الداى محمد قرة داغلي في 7 أيار 1681 بتجديد تحالفه مع انجلترا، كما قدم الداى عدداً من الإمتيازات للقنصل الانجليزي في طرابلس (ن.أ.بروشين، 2001، ص99).

وفي الاول من تشرين الثاني 1682 ظهر الاسطول الانجليزي في البحر المتوسط بقيادة الاميرال هيربرت Herbert Admeral أمام ميناء طرابلس، وقد جاء الاسطول بناءً على طلب القنصل الانجليزي، وقد أستقبله الداى إستقبلاً حسناً، وسلمه رسالة الى ملك انجلترا عبر فيها عن سروره الذي يعجز عن وصفه للمصادقة على اتفاقيات السلام المبرمة سابقاً مع السير جون ناربرو، وكان مجئ الاسطول الانجليزي حافزاً مهماً للداى لقطع العلاقات مع فرنسا، وفعلاً قطعت العلاقات وتم طرد القنصل الفرنسي في 9 نيسان من العام

نفسه، وتمكن القراصنة بعد ذلك من أسر سفينة فرنسية في 9 كانون الأول 1682، بلغت حمولتها 200 طن، محملة من صيدا ومتجهة الى مرسيليا (C.R. Pennell, 1989, p.51).

قرر ملك فرنسا لويس الرابع عشر⁽⁵⁾ Louis XIV (1643-1715) الرد على هذه الاهانات الخطرة، وقصف الاميرال دوكين Duquesne في أواخر عام 1683 طرابلس بالقنابل، وبعد سنتين قام دي استريس De Estrees بنفس الشيء، وكانت الأضرار جسيمة مما إضطر الداى الحاج عبد الله للخضوع لكل شروط الفرنسيين، وتم توقيع اتفاق السلام في 29 حزيران 1685، وتقرر أن تدفع طرابلس خمسمائة جنيه، وتعيد كل الأسرى الفرنسيين والاجانب المأخوذ من على السفن الفرنسية وعددهم 1200 دون مقابل، وكانت الحكومة الفرنسية تعلم أن القراصنة لا يلتزمون بالاتفاقيات، ولذلك جاء اسطول فرنسي عام 1686 الى طرابلس وتم تأكيد اتفاقيات السلام (Nabil Matar, 2014, p.170).

بذل القنصل الانجليزي جهوده من أجل المحافظة على السلام بين بلاده وطرابلس ونجح في ذلك، وقد أكد القنصل برسالة الى ملك انجلترا موقعة في 29 أيلول 1686 من قبل الداى والاميرال الانجليزي إستمرار السلام بين البلدين، وخلال الرسالة أوضح القنصل كيف كان من الضروري ظهور بعض بوارج صاحب الجلالة للحصول على هذا الإلتزام، وهكذا على غير ما كان متوقعا، أصبحت طرابلس في حالة سلام مع فرنسا وانجلترا في الوقت نفسه، وحاول كل طرف من جانبه أن يشكك في مصداقية منافسه، ففي عام 1689 بذل الفرنسيون جهوداً لإقناع الطرابلسيين بعدم قدرة الانجليز على الظهور بإسطولهم خلال تلك السنة، ومن جهة أخرى كان قنصل انجلترا الجديد ناثانيل لودنجتون Nathaniel Lodington يحرض الداى وحاشيته ضد فرنسا، وكتب في 15 كانون الاول 1689 الآتي: "لقد إغتتمت كل فرصة لتشجيع هؤلاء الناس على القطيعة مع فرنسا، وهذا ما سيقومون به كما يقولون، عندما يعلمون بظهور بوارجنا في البحر المتوسط" (C.R. Pennell, 1989, p.17).

بذل القنصل البريطاني جهوداً كبيرة لإحداث القطيعة في العلاقات بين طرابلس وفرنسا، وهو ما لم يكن صعباً، فالبؤس كان يدفع الطرابلسيين الى ذلك، ولم يكن يمنعهم إلا خشية انتقام الاسطول الفرنسي بقصفه للمدينة، وحاولت انجلترا بالتعاون مع هولندا امتصاص هذا الخوف، وتعهدت في حالة هجوم فرنسا بدفع ثلاثين ألف قرش لطرابلس وتزويدها بقماش الأشرطة والحبال وعتاد السفن، وكان هذا كافياً لإقناع الداى وديوانه، وبالفعل تم إعلان

الحرب على فرنسا في 21 كانون الثاني 1692، وتم القبض على القنصل والرعايا الفرنسيين، وتمت مصادرة أموالهم سواء في المدينة أو الميناء، وبذلك عادت الهجمات البحرية من جديد ضد كل السفن التي تحمل العلم الفرنسي، وتم الإستيلاء على العديد من السفن الفرنسية وطواقمها (Nabil Matar, 2014, p.171).

كان القنصل الانجليزي مصمماً من جانبه على الوفاء بتعهداته، وكان يضغط على حكومته لإرسال كميات كافية من البارود والقذائف الى الطرابلسيين، أما فرنسا فبالرغم من قصفها لمدينة طرابلس مرتين إلا أن ذلك لم يجد نفعاً، فقد كانت فرنسا مشغولة في حروب لويس الرابع عشر في اوربا ولذلك لجأت فرنسا الى الدولة العثمانية التي ضغطت على طرابلس للتفاوض مع فرنسا، وبالفعل أدت المفاوضات الى توقيع اتفاقية سلام في 27 آيار 1693، وكانت الشروط لصالح الطرابلسيين الى حد كبير جداً (Nabil Matar, 2014, p.171).

كانت النتيجة الطبيعية للسلام مع فرنسا هي القطيعة مع إنجلترا، وكان الفرنسيون يدفعون داي طرابلس لذلك، واستطاع القنصل الفرنسي دونيه دوسو Denis Dusault الذي أبرم إتفاقية مع الداى أن يبلغ نجاحاته الأولى، وكتب لحكومته قائلاً: "إن أربعة من السفن التي في المرسى على إستعداد للإبحار حالما تواتي الرياح، والأوامر لدى ربانبة هذه السفن هي الاستيلاء على السفن الانجليزية والهولندية التي يجدونها في البحر". وفي 21 تموز أعلنت طرابلس الحرب على إنجلترا وهولندا، وإضطر ناتانيل لودنجتون أن يغادر الى مالطا (مقتبس من: جان كلود زليتنر، 2001، ص 288).

توترت العلاقات مع فرنسا من جديد عندما أصر الداى على إستعادة السفينتين التابعتين له اللتين إحتجزتهما فرنسا قبل إحلال السلام بين الطرفين، كما إقتاد القرصنة سفينة فرنسية تركها طاقمها، وعندما جاء ربانها يطالب بها رُفِض طلبه رفضاً قاطعاً، كل تلك الحوادث أدت الى تجدد الاتصالات مع إنجلترا، وفي الواقع ان الداى كان مُكرهاً على قطع العلاقات مع إنجلترا، وقد أخبر لودنجتون عندما طلب منه المغادرة الى مالطا أنه بمجرد الإفراج عن كل الأسرى الطرابلسيين جنوب فرنسا سيدعوه للعودة، وفي الواقع كان التنافس بين إنجلترا وفرنسا يخدم مصالح الداى، ولم يكن يخشى أي من القوتين لإنشغالهما بالحرب بينهما في أوربا مما يمنعهما من إرسال قوات الى طرابلس، وفكر في إرغام إنجلترا على شراء سلام جديد باهض الثمن بعد نجاحه في عقد إتفاقية مجزية له مع فرنسا (جان كلود زليتنر، 2001، ص 290).

وصل القنصل الانجليزي في الجزائر توماس بيكر Thomas Baker للتفاوض مع الداى، وقد ارتكب هذا الأخير خطأ، فبدل أن يصل الى طرابلس مدعوماً بالإسطول، وصلها برسائل توسط من داي الجزائر، وكان هذا يعني أنه وضع نفسه في موضع المتوسل، وإبنتهت المفاوضات بتوقيع إتفاقية سلام بين الطرفين في 11 تشرين الأول 1694 نصت على إحلال السلام بين الطرفين وتعهد بيكر بتزويد طرابلس الغرب ببارود المدافع وأقمشة الأشرطة والصواري والحديد والرصاص (C.R. Pennell, 1989, p.203)، ثم غادر بيكر طرابلس تاركاً وراءه قنصلاً مؤقتاً هو دانيال سكر Daniel Skinner، تعرض توماس بيكر للإنتقاد من قبل سكر ولودنجتون لأنه جاء الى الداى طالباً السلام حسب وجهة نظرهم، في حين أن الداى سابقاً هو من توسل بملك انجلترا لإعادة العلاقات بين الطرفين، ولاحظ سكر أن سلاماً مبرماً دون دعم من المدافع هو سلام هش، وأن ما تم التوصل إليه ليس سلاماً صحيحاً، ومهما كانت مسؤولية بيكر فقد ترك للقنصل واجباً لا يحسد عليه (إتوري روسي، 1973، ص309)

وبعد مناقشات في لندن أُعيد لودنجتون الى منصبه السابق قنصلاً في طرابلس، وإستلم عمله منذ حزيران 1694، وكان الوضع في طرابلس غير مريح حسب وصف القنصل الجديد، فقد طالب الداى بتنفيذ الإلتزامات التي تعهد بها بيكر بأسرع ما يمكن، وكان الداى ينتظر وصول ما وعد به بيكر، وكتب لودنجتون بهذا الشأن قائلاً: "إنني على يقين، أنه مالم ترسل هذه المواد - ولو جزئياً - فإن السلام سيكون متزعزعاً هذا الصيف". أدركت السلطات في لندن أنه لا بد من العمل، ووضعت الهدايا على السفينة أيقل Iqel التي لم تستطع مواصلة السير أبعد من المضيق، وفي الوقت الذي كانت فيه الحرب بين لويس الرابع عشر وانجلترا ماتزال قائمة لم تكن هنالك أي بارجة متجهة الى طرابلس، ولذلك أُعيدت الهدايا الى مخازن الملك (جان كلود زليتر، 2001، ص291).

مضت سنتان والهدايا لم تصل الى طرابلس، وكان لودنجتون يطالب بإرسالها من جديد، وقد إضطر لدفع مبلغ ألف وثلاثمائة وخمسين دولاراً لتهدئة الداى وضباطه الرئيسيين، ووجد القنصل الانكليزي نفسه يستخدم الاسلوب نفسه الذي إستخدمه الفرنسيون في شراء السلام، ففي غياب المدافع لامناص من استعمال الحيل والذرائع، ولم تعد فرنسا وانكلترا مهابيتين في البحر المتوسط، وإزدادت أعمال الجهاد البحري بشكل كبير. أما السلام الذي أبرمه الداى مع انجلترا عام 1694 فلم ينتج القطيعة مع فرنسا كما كان متوقعاً، بل إرتبطت ولاية طرابلس بعلاقات متوازنة مع كلا القوتين، في حين أن الدول الأوروبية الأخرى كالبندقية

مثلاً فمثلت فريسة سهلة ووفيرة لرياس البحر الطرابلسيين(الظاهر احمد الزاوي، 1970، ص223؛ جان كلود زليتنر، 2001، ص292).

ثانياً: التوجهات البريطانية تجاه ولاية طرابلس منذ تولي القرمانليين وحتى عهد يوسف باشا (1711-1795)

وفي 27 من تموز 1711 عُزل محمد بواميس آخر الدايات، وبعد يومين انتُخب أحمد القرمانلي ليحل محله (Amy Mckenna, 2010, p.57)، وبذلك يبدأ عهد الاسرة القرمانلية في حكم ولاية طرابلس الغرب، وتعود هذه الاسرة الى أصول تركية هاجرت الى طرابلس الغرب واستقرت فيها (Ali Abdullatif Ahmida, 2005, p.14)، وينتمي القرمانليون الى فئة القولوغلية، وهم الأتراك من امهات عربيات، وتولى احمد القرمانلي عدة مناصب في الجيش قبل توليه حكم طرابلس، وأصبحت القوات البحرية في عهده خطيرة جداً، ولذلك حرصت معظم الدول الأوروبية لتقوية علاقاتها مع ولاية طرابلس وتعيين قناصل لها هناك (شريفة أمين قاضي، 2014، ص22)، ونجح أيضاً في الحصول على اعتراف السلطان العثماني به حاكماً على ولاية طرابلس الغرب (Phillip C.Naylor, 2009, p.122).

وكانت السفن الطرابلسية في عهده مسلحة بأربعين الى ستين مدفعاً، ولم يستثن قراصنته أحداً فقد إستولوا على مركب بريطاني (تغير اسمها من إنجلترا الى بريطانيا العظمى، ينظر: R.J. White, 1967, p.190)، وباخرة بندقية فضلاً عن ثلاث سفن فرنسية، ولذلك تطلب الأمر من بريطانيا بأن تحافظ على مصالحها مع الحكام الجدد لطرابلس، وإستمرت بتقديم الهدايا الثمينة لضمان صداقة باشوات طرابلس، وأكدت بريطانيا إتفاقياتها السابقة المعقودة مع طرابلس الغرب وأوفدت لذلك الاميرال كافانديش Cavendish عام 1730 لتأكيد نصوص الاتفاق المبرم في عهد الوالي عثمان باشا (إتوري روسي، 1973، ص335)، وقد وصف القنصل البريطاني روبرت وايت Robert White الأوضاع هناك في مذكرة مؤرخة في 26 تموز 1750 قائلاً: "إن الطمع هو المحرك الرئيسي لهذه الدولة كما لغيرها من دول هذا الشاطئ، فالذين يعطون أكثر يعدونهم أحسن أصدقائهم، والدولة التي تستطيع أن تكيف هداياها مع إحتياجات الحالة، ستجد في ذلك منافع وإمتيازات عظيمة" (مقبس من: جان كلود زليتنر، 2001، ص301).

إستمر القرمانليون بعلاقاتهم المتأرجحة مع بريطانيا وفرنسا في آن واحد، ولم يخلوا الأمر من المنافسة بين الدولتين (اسماعيل احمد ياغي، 1997، ص146)، وفي عهد محمد باشا القرمانلي (1745-1754) أبرمت إتفاقية صداقة وتعاون مع بريطانيا في 29 أيلول

1751 دون الرجوع الى الدولة العثمانية (Edward Hertslet, 1865, p.725)، وكان ذلك سبباً في غضب اسياده العثمانيين، إلا أن والي طرابلس استطاع استرضائهم بالهدايا (شوقي عطا الله الجمل، 1977، ص136)، وتضمنت المعاهدة 28 بنداً سنووز أهمها، إذ نصت المادة الأولى على حرية السفن البريطانية بشراء الحنطة والشعير وغيرها من المؤن المتنوعة بأمانها المقررة وحملها الى جزيرة ماهون Mahon والقاعدة البريطانية في جبل طارق، اللتين انتقلتا الى السيادة البريطانية بموجب صلح اوتراخت 1713، كما وجب على طرابلس الغرب معاملة رعايا هاتين المنطقتين كرعايا بريطانيين (Extracts from the Several Treaties Subsisting Between Great Britain and other Kingdoms and states, p.274).

وتعهد الطرفان في المادة الثانية بعدم تعرض أحدهم لسفن الآخر في عرض البحر، كما تضمنت المادة السابعة تعهد والي طرابلس بعدم التعرض للقنصل البريطاني في حالة نشوب الحرب بين الطرفين، وفي المادة الثالثة عشر أعفيت البضائع التي يجلبها البريطانيون الى طرابلس من الرسوم الجمركية والتي يكون لها منفعة عامة للبلاد مثل المدافع والبنادق والمسدسات والحراب والسيوف والبارود والقنابل والرصاص والحديد وحبال السفن والكبريت وأخشاب السفن وأعمدتها وأقمشة الشراع والقمح والشعير (اسماعيل احمد ياغي، 1997، ص148).

أصبح للقنصل البريطاني بموجب المادة الخامسة عشر حق الدخول قبل غيره من القناصل لتهنئة الوالي في الأعياد والمناسبات الاسلامية، ومن الطريف أن يمنح الباشا الحق نفسه في معاهداته مع فرنسا، حتى أن القنصلين كانا يسرعان كل يود مسابقة زميله، وقد يمسك كل منهما بخناق الآخر في حضرة الوالي، أما المادة عشرون فنصت على التزام ولاية طرابلس الغرب بالحياد في حال نشوب حرب بين بريطانيا وولاية تونس أو الجزائر ولا تقدم المساعدة لأي منهما، وألزمت المادة التالية والي طرابلس الغرب بالإمتناع عن شراء البضائع والممتلكات والأسرى البريطانيين الذين يقعون في قبضة بحارة تونس والجزائر، ومنحت المادة السادسة والعشرون لجميع السفن البريطانية حق المتاجرة والدخول الى موانئ طرابلس كلها سواء أكانت تلك السفن ملكاً للحكومة أو الشركات وتحصل السلطات الطرابلسية 3% رسوماً جمركية من قيمة حمولة تلك السفن، وهناك مواد أخرى أقل أهمية وجميعها تصب في مصلحة بريطانيا (هنري أنيس ميخائيل، 1970، ص3؛ كولا فولان يان، 1988، ص216).

ولقاء التنازلات التي قدمها محمد باشا في تلك المعاهدة التزم البريطانيون بإرسال المدافع وغيرها من الأسلحة النارية بالإضافة الى الذخائر اللازمة الى ولاية طرابلس الغرب، وكانت هذه النجاحات التي حققها البريطانيون في ضمان إمتيازاتهم بالنسبة للتجارة البحرية في موانئ الولاية وسلامة الحركة البحرية في مياه البحر المتوسط الغربي وحقوق القنصل البريطاني دافعاً للفرنسيين لمحاولة التوصل الى تنازلات جديدة من طرف محمد باشا القرماني عن طريق توسيع المعاهدات السابقة، وإضطر الداى لإتخاذ إجراءات لمحاسبة المعتدين على السفن الفرنسية المارة في البحر المتوسط (ن.أ.بروشين، 2001، ص123).

تزايد الاهتمام الأوربي بولاية طرابلس الغرب أواخر القرن الثامن عشر، وحاول الأوربيون التوغل في أفريقيا من خلالها (Amy Mckenna, 2010, p.57)، لأن أفريقيا الوسطى كانت مجهولة بالنسبة لهم حتى ذلك التاريخ، فبدأت حركة أطلق عليها الأوربيون أسم حركة الكشف الجغرافي لأفريقيا، والتي تزامنت مع تزايد نشاط القناصل في طرابلس الغرب ولاسيما قناصل كل من بريطانيا وفرنسا، وجاءت حركة الكشف بعد ظهور الثورة الصناعية في أوربا، وكان ذلك دافعاً للأوربيين للبحث عن مواد خام وأسواق جديدة في مناطق مختلفة من العالم تدفعهم في ذلك دوافع استعمارية للسيطرة على البلدان وإحتكار تجارتها (أحمد صدقي الدجاني، 1971، ص296).

تأسست أول جمعية لكشف أفريقيا في بريطانيا عام 1788، وكان هدفها كشف وسط أفريقيا، وسميت جمعية كشف داخل أفريقيا، وإشتهرت بإسم الجمعية الأفريقية African Association، وبدأت أعمالها بجمع المعلومات عن داخل أفريقيا من القنصليات البريطانية والتجار فكانت النتائج التي توصلت إليها قليلة جداً فإتجهت نيتها لإرسال مستكشفين، وكان نجاح الرحالة الأوربيين بفضل تعاون القناصل والحكام المحليين، الذين قدموا لهم معونات كبيرة سواء بجمع المعلومات أو توفير الحماية المطلوبة جهد المستطاع عن طريق باشاوات طرابلس (أحمد صدقي الدجاني، 1971، ص297).

وقام البريطاني وليم لوкас Wiliam Lucas عام 1779 بأول رحلة بريطانية لاستكشاف داخل افريقيا، وكان يشغل منصب نائب القنصل البريطاني آنذاك ثم شغل منصب القنصل البريطاني في طرابلس الغرب في المدة (1793-1801)، ولكنه لم يستطع أن يذهب أبعد من مدينة مصراته بعد أن أعاقته الروح العدائية للأهالي عن الاستمرار في رحلته، وجمع بعض المعلومات من الشريف محمد ومن تجار فزان، وعاد الى طرابلس ومنها الى بريطانيا (أتوري روسي، 1973، ص468). وتوالت رحلات أخرى لرحالة بريطانيين

وأوربيين لإكتشاف وسط أفريقيا، وبعد ذلك تأسست جمعيات أخرى لكشف أفريقيا في مختلف أنحاء أوربا ومن أشهرها جمعية لندن الأفريقية في بريطانيا، والجمعية الجغرافية في باريس، والجمعية الجغرافية في روما، وأرسلت هذه الجمعيات عدد من الرحالة الى أفريقيا في وقت لاحق من القرن التاسع عشر (أحمد صدقي الدجاني، 1971، ص ص 298-299؛ فرانшко كورو، 1971، ص 133).

الاستنتاجات

1- استغلت بريطانيا فرصة العداء بين اسبانيا والدولة العثمانية لمد نفوذها الى البحر المتوسط والسيطرة على تجارته، واقامت علاقات تجارية مهمة مع الولايات العثمانية خلال اواخر عهد الملكة اليزابيث الاولى، وذلك لمنافسة فرنسا التي وطدت علاقاتها مع الدولة العثمانية ومنذ عهد فرانسوا الأول.

2- كان للتنافس البريطاني-الفرنسي دور كبير ومهم في استمرار الجهاد البحري وفرض الاتاوات ضد السفن الأوربية في البحر المتوسط، فقد نجح ولاية طرابلس الغرب في استخدام هذا التنافس والعداء لمصلحتهم فيما يخص استمرار نشاطاتهم، فعندما تتدلح الحرب مع فرنسا يهادنون بريطانيا والعكس صحيح، الأمر الذي أدى الى عرقلة بسط أي نفوذ من الدولتين على الولاية.

3- إستطاعت القوى المحلية المتمثلة بحكام ولايات شمال أفريقيا الاستمرار في استقلالهم شبه التام عن الدولة العثمانية، الأمر الذي جعل مهمة القناصل الانجليز والأوربيين صعبة نتيجة لتحكم جنود الانكشارية بالوالي وخضوعه لرغباتهم.

4- كان الغرض من الهجمات، التي قام بها رياس البحر بأوامر من الوالي، الحصول على الاتاوات وإقتسامها، ولم يسعى الولاية في طرابلس الى إستغلال تلك الموارد في بناء اقتصاد الولاية أو تطوير قدراتها الدفاعية، وإنما كان جلّ همهم جمع المال لمصلحتهم الشخصية بالدرجة الاولى.

5- إستمر التكافؤ في القوى بين ولاية طرابلس الغرب والقوى الأوربية الكبرى حتى أواخر القرن الثامن عشر، وبعد ذلك تحول ميزان القوى لمصلحة الدول الأوربية التي ساهمت الثورة الصناعية بتطوير قدراتها وامكانياتها بشكل كبير.

الهوامش

(1) فرسان مالطا أو فرسان القديس يوحنا Knights of St. John، منظمة مسيحية كاثوليكية ذات طبيعة عسكرية، تأسست عام 1099 تقريباً بإسم فرسان الاسبتارية في القدس خلال الحروب الصليبية من قبل الراهب البندكتي الإيطالي جيراردو ساسو أمالفيتانو Gerardo Sasso Amalfitano، وكان هدفها تقديم الخدمات الصحية للحجاج المسيحيين وأسسوا مستشفى في القدس لهذا الغرض ولذلك سماوا بفرسان الاسبتاريين Knights Hospitaller وهي كلمة لاتينية تعني المستشفى، وبعد طرد الصليبيين من القدس إنتقل مقرها الى جزيرة رودس، ثم طردهم من هناك السلطان سليمان القانوني عام 1523، فتحول مركزهم الى جزيرة مالطا حتى عام 1798 حيث طردهم نابليون منها، وإنتقلوا بعد ذلك الى روما، ولديهم مقرات كثيرة حوال العالم، للمزيد من التفاصيل ينظر: Jonathan Riley Smith, The Nights of St. John in Jerusalem and Cyprus 1050-1310, A history of the order of the hospital of St. John of Jerusalem, Palgrave Macmillan, London, 1967, p.60.

(2) هو سليمان بن سليم خان الاول عاشر السلاطين العثمانيين، ولد في 6 تشرين الاول 1494 في مدينة طرابزون التركية، بلغت الدولة العثمانية في عهده أقصى إتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، وكان السلطان سليمان صاحب أطول مدة حكم، وخلفه إبنه السلطان سليم الثاني، عرف عند الغرب المسيحي باسم سليمان العظيم، وفي الشرق الاسلامي باسم سليمان القانوني، للمزيد ينظر: فريدون أمجان، سليمان القانوني، سلطان البرين والبحرين، ترجمة: جمال فاروق وأحمد كمال، ط2، دار النيل، 2015، ص13.

(3) ولدت في 7 ايلول 1533 في قصر بلاسنتيا/ جرينتش جنوب شرق لندن، هي ملكة انكلترا وايرلندا وإبنة ملك انكلترا هنري الثامن من زوجته آن بولين، وهي الحاكم الخامس والأخير من سلالة آل تيودور، خلفت شقيقتها ماري تيودور على العرش عام 1558، لقبت بالملكة العذراء، واليزابيث العصر الذهبي، والملكة المباركة الفاضلة، تميز عهدها بتسوية الامور الدينية في البلاد، كما شهد عهدها ايضاً هزيمة الاسطول الاسباني في حرب الارمادا عام 1588، وبداية التفوق البحري الانكليزي، للمزيد ينظر: Paul Hilliam, Elizabeth I: Queen of England's Golden Age, The Reson publishing Group, Inc, New York, 2005, p.15.

(4) هو السلطان مراد بن سليم الثاني بن سليمان القانوني السلطان الثاني عشر من سلاطين الدولة العثمانية، ولد في 4 تموز 1546 في القسطنطينية، عين والياً على سنجق آقشهير ثم نقل لاحقاً الى سنجق مانيسا، تزوج من جارية بندقية هي صفة سلطان، أصبحت بولندا في عهده تحت حماية دولته، وجدد لفرنسا والبندقية امتيازاتهما، وتمكنت ملكة انكلترا في عهده من بناء علاقات تجارية متينة مع الدولة العثمانية، للمزيد ينظر: محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص157.

(5) هو احد أبرز ملوك فرنسا من آل بوربون، ولد في سان جيرمان في 5 ايلول 1638 وتولى الحكم وعمره 5 سنوات بعد وفاة والده لويس الثالث عشر، وتولى رئيس الوزراء الكاردينال مازران تسيير امور فرنسا الى ان توفي 1661، وبعد ذلك استلم لويس الرابع عشر حكم فرنسا، لقب بالملك الشمس لإهتمامه بالفن والادب والعمارة، خاض حروب عديدة في اوربا انهكت الخزينة الفرنسية ومهدت لقيام الثورة فيها، للمزيد ينظر: G.P.R. James, The LifeandtimeofLouis The Fourteenth, Richard Bentley New Burlington Street, London, 1838, p.2.

المصادر

أولاً: المصادر العربية:

- (1) ابن غلبون، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المكتبة السلفية، القاهرة، 1930.
- (2) أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني، ط1، المطبعة الفنية الجديدة، 1971.
- (3) أميده سالم حماد، الروابط الاقتصادية المتبادلة بين السلطات القرمانيية والمجتمع الطرابلسي في أواخر العهد القرماني، مجلة العلوم والدراسات الانسانية، جامعة بنغازي، العدد 13، آيار 2016.
- (4) إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي وحتى سنة 1911، ترجمة: خليفة محمد التليسي، ط1، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1973.
- (5) اسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1997.

- (6) اياد ترکان ابراهيم الدليمي، دراسات في تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى مؤتمر فيينا 1453-1815، المطبعة المركزية، جامعة ديالى، 2016.
- (7) جان كلود زليتنر، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط أفريقيا 1500-1795، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، 2001.
- (8) جميل بيضون وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، 1991.
- (9) دايات طرابلس الغرب من قبل العثمانيين، مقالة على موقع تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة www.hukam.net
- (10) شريفة أمين قاضي، الاحتلال الإيطالي والمقاومة الليبية 1911-1951، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة-قطب شتمة، 2014.
- (11) شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبياتونس-الجزائر-المغرب)، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1977.
- (12) الطاهر احمد الزاوي، ولاية طرابلس من بداية الفتح العربي الى نهاية العهد التركي، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1970.
- (13) فرانكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ترجمة: خليفة محمد التليسي، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1971.
- (14) فريدون أمجان، سليمان القانوني، سلطان البرين والبحرين، ترجمة: جمال فاروق وأحمد كمال، ط2، دار النيل، 2015.
- (15) قرياش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2015.
- (16) محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشرق، بيروت.
- (17) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- (18) محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد السلام الأدهم ومحمد الأسطي، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، بنغازي، 1970.

(19) ن.أ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة: عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2001.

(20) هنري أنيس ميخائيل، العلاقات الانكليزية-الليبية مع تحليل للمعاهدة الانكليزية الليبية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.
ثانياً: المصادر الأجنبية

- (1) Amy Mckenna, The history of North Africa, The Britannica Gude of Africa, Rosen Educational Services, NewYork, 2010.
- (2) Ali Abdullatif Ahmida, Forgotten Voices Power and Agency in Colonial and postcolonial Libya, Routledge, New York, 2005.
- (3) Jonathan Riley Smith, The Nights of St. John in Jerusalem and Cyprus 1050-1310, A history of the order of the hospital of St. John of Jerusalem,Palgrave Macmillan, London, 1967
- (4) Paul Hilliam, Elizabeth I: Queen of England's Golden Age, The Reson publishing Group, Inc, New York, 2005.
- (5) Christine Woodhead, England, The Empire and The Barbary coast in the late sixteenth century 1509-1714, state papers online, university of Durham, 2009.
- (6) Gerald M. MacLean, The Rise of Oriental Travel English Visitors to the Ottoman Empire 1580-1720, Palgrave Macmillan, London, 2004.
- (7) Daniel Panzac, Barbary Corsairs The End of a Legend 1800-1820, Brill Leiden Boston, 2005.
- (8) C.R. Pennell, Piracy and Diplomacy in Seventeenth century North Africa, Associated University Presses, London, 1989.
- (9) Nabil Matar, British Captives from the Mediterranean to the Atlantic 1563-1760, BRILL, Boston, 2014.

- (10) Ali Abdullatif Ahmida, *Forgotten Voices Power and Agency in Colonial and postcolonial Libya*, Routledge, New York, 2005.
- (11) Phillip C. Naylor, *North Africa A history frome Antiquity to the present*, University of Texas Press, 2009.
- (12) R.J. White, *A Short History of England*, Cambridge At The Universty Press, 1967.
- (13) Edward Hertslet, *General index to British and foreign state papers (1373 to 1853)*, William Ridgway, London, 1865, Vol. XLIII.
- (14) *Extracts from the Several Treaties Subsisting Between Great Britain and other Kingdoms and states, year MDCCL, V.III*, London.
- (15) G. P. R. James, *The Lifeandtime of Louis The Fourteenth*, Richard Bentley New Burlington Street, London, 1838.